

# رحيل نجم الفن الزائل الذي جعل للمعالم هويات مغايرة

## تجسيدا لرغبة كريستو.. فرنسا تسعى إلى تغليف قوس النصر في 2021



«جدار براميل النفط» في باريس (1962)



تغليف مبنى الرايستاغ في برلين (1995)

عام 2018، كان كريستو يستعد لتحقيق حلم راوده منذ الستينات: أن يغلف قوس النصر بباريس. وقد تم إعداد هذا المشروع منذ سنوات، مثلما وقعت برمجة إنجازه في سبتمبر القبل، ولكن الموت كان راصدا له. ورغم ذلك لم يبلغ المشروع بل أرحى إلى خريف العام المقبل، حسبما أكده فليب بولافال، رئيس مركز المعالم الوطنية.

توفي كريستو بينما كان مركز بومبيدو للفن المعاصر قد برمج معرضا استعدائيا عن مرحلته الباريسية (1958 - 1964) ومشروعه الأشد رسوخا في ذاكرة الباريسيين وهو تغليفه جسر "لو بون نوف". أي أن كريستو لن يحضر هذا المعرض، وربما سعد بذلك في قبره وهو القائل "لا أحب المعارض الاستعدادية، أحب أن أفعل دائما أشياء جديدة. الاستعداديات، دعوها حين أموت".

تخلّى عنه كريستو عام 2017 احتجاجا على انتخاب دونالد ترامب، وينسون أن ذلك كله من صميم فنه، فمن النادر أن نجد فنانا يخصص من الوقت لإعداد عمل فني كما يفعل كريستو وزوجته، وقل أن نعتز على من يبذل كل ذلك الجهد لأجل عمل زائل، مثل منحوتة على الرمل.

وبعد الأرصفة العائمة على بحيرة إيزيسو الإيطالية عام 2016، ومصطبة هايد بارك

بلندن تخلّى عنه كريستو عام 2017 احتجاجا على انتخاب دونالد ترامب، وينسون أن ذلك كله من صميم فنه، فمن النادر أن نجد فنانا يخصص من الوقت لإعداد عمل فني كما يفعل كريستو وزوجته، وقل أن نعتز على من يبذل كل ذلك الجهد لأجل عمل زائل، مثل منحوتة على الرمل.

وبعد الأرصفة العائمة على بحيرة إيزيسو الإيطالية عام 2016، ومصطبة هايد بارك

الذي ارت لاند" (فن الأرض) خاصة أعمالهما الأولى، لكبر حجمها ووجودها خارج فضاءات الفن المعتادة، كالورقة والمتاحف والورش.

ولكن كريستو يرفض هذا التصنيف، ويخبر الحديث عن "فن بيئي" تحتل القماشية عنصره المشترك، لأنها هي التي تجعل الأعمال حية، حين تتموج عند هبوب الريح، وهذا ما يعكس الجانب المتحرل في المشروع، لأن الأثر لا يكون مجسدا إلا لبضعة أيام، على غرار خيام البدو.

### هبة جديدة

تقوم مقارنة هذا الفنان على تغيير وجهة نظر الجمهور إلى الفضاء، الذي يتحول إلى عمل فني، فالعلم المغلف يأخذ شكلا مغايرا لشكله الأصلي، وهوية مغايرة، وهبة جديدة. يقول كريستو "مشاريعنا ليست تصويرا للأشياء مثل معظم الأعمال اليوم. هي أشياء حقيقية، لا توجد كادوات بل كواضع. هي موجودة ولكنها مطبوعة برمنية مذهشة، إذ يستغرق إعدادها وإنجازها عدة سنوات، ولكن بقاها لا يتعدى خمسة عشر يوما، ولا يتبقى منها غير الرسوم والأفلام والصور الشمسية. هذه الهشاشة هي من صميم عملنا".

تلك الرسوم، الشبيهة برسوم مهندس معماري، هي التي كانت تضمن لكريستو وزوجته عيشة الرفاه التي يعيشانها، حيث يتخاطفها هوة جمع الأشياء النادرة بالآلاف السجلات، في مزارات علنية تبلغ قيمة أقل قطعة معروضة فيها نحو نصف مليون دولار.

حتى أن بعض النقاد وصفوا كريستو بأنه مهندس ومقاوم قبل كل شيء (رغم أنه لا يملك أي دبلوم في الهندسة المدنية) ينجز مشاريع تقنية، مستعينا بفرق متكامل ومعدات لويسنتية ضخمة، ويقضي أعواما طويلة في البحث والتقاضي والتفاوض، فما كل مشروع يقبل، وما كل مفاوضة تنتهي باتفاق، بل إن بعض الاتفاقات التي استمر العمل فيها أعواما طويلا، وقع العدول عنها في آخر لحظة، كما حصل لمشروع فوق نهر الأركنساس حين

قرن، حيث يقوم كريستو بإعداد الماكيت والرسوم ثم تتولى جان كلود الإشراف على عملية الإنجاز، مثلما تتولى دور الناطق باسم الفنان والدفاع عن المشاريع التي تستوجب أحيانا حكمة ولباقة وديبلوماسية أمام المسؤولين في شتى المؤسسات التي تعاملها معها كرؤساء البلديات ومحافظي المعالم التراثية وحتى البرلمانين، لإقناعهم بمشاريع ضخمة، سرعان ما تزل، لا جدوى من ورائها ولا غاية منها غير إحداث الدهشة وإمتاع الأضطرار لأسبوعين أو ثلاثة.

امتدادا لرؤية الواقعيين الجدد في إنجاز أعمال استعراضية أمام الجمهور، ترك كريستو فن البورتريه وجنح إلى تغليف موديلات بشتى أنواع الأغلفة وكانها بضائع، ثم كان عام 1969 بداية انتقاله إلى المشاريع الضخمة حيث قام بتغطية نحو خمسة عشر كيلومترا من السواحل الأسترالية بالأقمشة المشمعة، ولما سئل عن الغاية من وراء ذلك أجاب "كل مشاريعي تزخر بالعناني حتى أني لا أجد الوقت للتفكير فيها. هذا ليس من طبيعة عملي".

ومنذ ذلك التاريخ وهما يتعاونان على إنجاز مشاريع عملاقة استجوبت أكثر من خمسين ألف متر مربع من أقمشة البوليستر ونحو عشرين كيلومترا من الجبال وحوالي ثمانية آلاف بوابة ومئة وثمانين شجرة وثلاثة عشر ألف برميل نفط وأكثر من ستين مليون دولار.

فقد بسطا بعد السواحل الأسترالية سقارا برتقاليا في ولاية كولورادو عام 1972، وأقاما أربعين كيلومترا من الحواجز اللوتوية شمال سان فرانسيسكو عام 1976، وطوقا جزر خليج بيسكين ببيامي عام 1983، وغلفا أقدام جسر في باريس هو "لو بون نوف" (الجسر الجديد) عام 1985، وكذلك مبنى الرايستاغ في برلين عام 1995، مثلما وضعوا آلاف السقائف الزعفرانية في سنترال بارك بنيو يورك عام 2005.

فهما يستعملان الكوابل والأنسجة والهياكل المعدنية، مثلما يتوغلان الألوان الكابوليبروبيلين في لون زهرة الفوشيا، والبوليستر الأغمز أو الفضي، لخلق أعمال عرضية لا تدوم أكثر من أسبوعين أو ثلاثة.

ذلك أن فنهما يخصص تغليف الأماكن والمباني والمعالم والحدائق العامة والمناظر الطبيعية، ما يجعله قريبا من

ففي الليلة الفاصلة بين 31 مايو و1 يونيو 2020، رحل الفنان الأميركي من أصل بلغاري كريستو عن سن تناهز الخامسة والثمانين، في وقت كان مركز بومبيدو بباريس قد أعد له معرضا استعدائيا يفتتح بداية من منتصف شهر مارس، ثم تحول بسبب الحجر الصحي إلى معرض تكريم لروحوه ولغنه في مستهل شهر يوليو القادم.

هناك بدأ الزوجان بإنجاز أعمال ضخمة عبر العالم يظهر في كل منها اسماهما أي كريستو وجان كلود، ولم يواصل بمفرده إلا بعد وفاة زوجته عام 2009، فقد ظلا متلازمين تلازما لصيقا، ويقال إنهما ولدا في يوم واحد، 13 يونيو 1935، هو في بلغاريا، وهي في المغرب. في حي سوهو بنيويورك، جعل الزوجان بيتهما سكنا وورشة ومقرًا رئيسيا لمشاريعهما طيلة أكثر من نصف

من النادر أن نجد فنانا يخصص من الوقت لإعداد عمل فني زائل، مثل منحوتة على الرمل، كما يفعل كريستو وزوجته جان كلود



أبو بكر العياضي  
كاتب تونسي  
مقيم في باريس

ولد كريستو فلاديميروف جافاتشيف الشهير بكريستو في غابروفو ببلغاريا عام 1935، في أسرة عانت من النظام الشيوعي منذ الأربعينات. بدأ تكوينه الفني في معهد الفنون الجميلة بالعاصمة صوفيا، حيث درس الرسم والنحت والهندسة حتى نهاية 1956، دون أن يحصل على دبلوم، لأن الشهادات كانت تمنح لانصار الحزب الشيوعي الحاكم وحدهم، ولم يكن من بينهم، فقد عرف عنه ميله إلى رسم لوحات تتناقض مع الواقعية الاشتراكية التي تفرض تناول المواضيع من وجهة نظر ماركسية لينينية.

فلما صار محط ملاحقة وتضييق، فرّ إلى فيينا، حيث بقي سنتين قبل أن يهاجر إلى باريس عام 1958. في عاصمة الأنوار، كان يكسب رزقه برسم بورتريهات زبينة يوقعها باسم العائلة جافاتشيف.

### أعمال عملاقة

ذات مرة، وهو يسلم بورتريه زوجة الجنرال جاك غيبون، مدير مدرسة البولكنتيك بباريس، تعرّف على ابنتها جان كلود (1935 - 2009) وكانت متزوجة، فنشأت بينهما علاقة انتهت بان انفصلت جان كلود عن زوجها وتزوجت كريستو عام 1959.

وفي تلك الفترة كان كريستو يخالف فناني الواقعية الجديدة، لاسيما أولئك الذين يفضلون إنجاز أعمال استعراضية بحضور الجمهور، مستعملين عناصر ختمت الاستهلاك الناهض، كما بيّنا في مقالة سابقة، ثم انضم إليهم عام 1963، قبل أن يغادر باريس نهائيا رفقة زوجته ليستقرا في نيويورك بداية من عام 1964، ويعتقا الجنسية الأميركية.

# هاجس تعزيز الهوية الفلسطينية لا يفنى عند رائد يوسف القطناني

أعمال الفنان مباشرة جدا، وواقعية جدا، ولكنها في آن واحد معبرة، ورمزية مشبعة بألوان فلسطينية تؤكد استمرارية وجودها

فلسطينية مهجرة ولجاجة تعود في أصولها إلى قرية يازور قضاء مدينة يافا الفلسطينية. تخرج من قسم التصميم الإعلاني (الاتصالات البصرية) بكلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق عام 1995. شارك في معارض اتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين فرع سوريا. وتسنّى له العمل في مجالات التصميم الطباعي، وإدارة البرامج الجرافيكية منذ عام 1996، وكان آخرها أن عمل مدرسا في معهد تدريب دمشق التابع لوكالة الغوث الدولية في قسم التصميم الفني بسوريا.

وهو حاصل على مجموعة من الجوائز وشهادات التقدير عن مساهماته في مسابقات التصميم الفنية لبطاقات التهنئة والمجوهرات وسواها. وهو عضو في رابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين. أقام ستة معارض شخصية له في عمان والزرقاء وإسطنبول وشارك بعشرات المعارض الجماعية في الأردن وأوكرانيا وتركيا. وهو مقيم حاليا في مدينة عمان. لم ير فلسطين يوما ويحلم بأن يقيم معرضا شخصيا له في القدس. وقد أعلننا بأن هذه الفرصة جاءت بعد أن عرض عليه أحدهم ذلك، ولكنه رفضها لأنه كان سيضطر إلى الذهاب إلى سفارة الاحتلال الإسرائيلي.

بعيدا عن بهتان حجج واقتراحات الغاصب السريالية وبعيدا عن هذيان الواقع الحالي المهدد لآمن المنطقة بأسرها، تحي هذه اللوحة ببساطتها البليغة لتهدد فكرة العودة/الطفل.

تجسي مملئمة إياه بيقين لأفت متمثل بخلفية اللوحة الحالية والخالية من حضور لون أو تشكيل خطوط قد يعكر هدوء النواة ثلاثية العناصر: الأم والأب والطفل. نواة شكلها رائد يوسف القطناني بغلبة اللون الأحمر في وسط خلفية سوداء كختم من شمع يوصد على كل هراقات الكيان الغاصب. حكم محكم يرهبو بفنية وتعبيرية شقافة ومذهلة يتيح له الفنان أن يقول بنبات "مهما ألت إليه الأمور سينقلب السحر على الساحر حتما".

يذكر أن رائد يوسف القطناني من مواليد عام 1973، وهو من عائلة



ومستقبلية واضحة على هامش وفي جوهر كل ما يحاك ضد حق الاستعادة الفلسطيني أرضه، مملكته، بالكامل. ما هي إلا فترة قصيرة حتى أعاد الفنان نشر لوحته تلك. ولكن مع عملية تحريك ديكتاتولي بسيط وموفق للوحة، أطلعنا الفنان أن هذا العمل التحريكي هو إهداء مشكور من أحد طلابه.

ولكل من يؤد أن يقول بأنها لوحة "فولكلورية" علينا أن نقول بأنها ليست كذلك، نقول لا، ليست لوحة "سياحية" لمجرد أن فيها عناصر تراثية. إنها إعلان عام ومعهم لما يراه ويشعر به الجميع. إنها وغيرها من أهم الأعمال الفنية التشكيلية الفلسطينية تأكيداً على الهوية الفلسطينية وعلى حيوية الشعب الفلسطيني، الذي في تطلعه إلى المستقبل ينتمي انتماء وجدانيا عميقا إلى الذاكرة الجماعية.



هدده لفكرة العودة

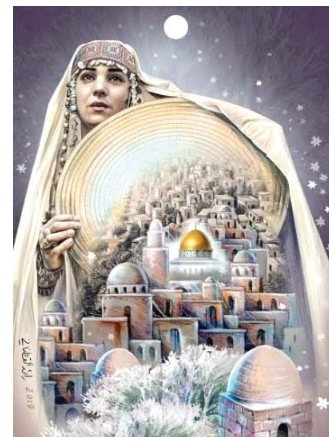
الوجود في أكثر فترة مصيرية وحرجة يعيشها الشعب الفلسطيني، لا بل القضية الفلسطينية بكل تفاصيلها وأحلامها.

من البديهي القول إن لوحة الفنان رائد يوسف القطناني ليست من اللوحات النادرة التي يظهر فيها طفل في حضن والده، بل هي واحدة من لوحات رائعة يصعب إحصاؤها لفنانين فلسطينيين رسوما هذه الثلاثية الأساسية للاستمرارية الفلسطينية. غير أن ما يميز هذه اللوحة هي طبيعة ملامح الأبوين المطمئنة إلى حد أقصى والمبهورة أمام وليد ليس ككل حديثي الولادة لأنه يحيل في هذا الزمن بالذات، أي زمن الفنان، إلى "عجاز" الولادة ذات الصفات "الملوكية"، إذا جاز التعبير، المتمثلة باناقة الوالدين الشابين في لباسهما التراثي. لباس هو عنوان استمرارية الوجود بنسخة حاضرة

يستمر الفنان التشكيلي الفلسطيني رائد يوسف القطناني عبر تحولات فنية ظهرت بشكل واضح مؤخرا في أعماله الفنية التي تعزز الهوية الفلسطينية، في التأكيد على أن الفن ليس فقط شكلا من أشكال المقاومة. لكنه بات اليوم الأقدر على ترسيخ الوجود أمام الاحتلال الإسرائيلي الذي يثبت يوما بعد يوم توجهه وتململه من كل عمل فني يدرك أنه سلاح فتاك في زمن معني بشكل أساسي بحروب الأفكار وسلطة الصورة.

رائد يوسف القطناني على صفحته الفيسبوكية عملا فنيا أنجزه السنة الماضية. تظهر في اللوحة امرأة ورجل بالزي الفلسطيني التقليدي يحتضنان بفرح طفلا صغيرا.

عمل مباشر جدا وواقعي جدا، ونكاد نقول "تقليدي" جدا، ولكنه في آن واحد معبر، ورمزي مشبع بالوان فلسطينية تفضي إلى أفكار ومشاعر متداخلة تعيد تظهير ذاتها تأكيداً على استمرارية



ميموزا العراوي  
ناقدة لبنانية

من الضروري ذكر أن اعتبار الفن "سلاحا فتاكا" ليس بجديد، وخاصة عند مروحي الأكاذيب ومرتكبي التزوير التاريخي الذي تعود أصوله إلى مرحلة الانتداب البريطاني لفلسطين، حيث حرصت حكومة الانتداب على تعرية منهاج التعليم من كل ما يكسر أو يطور الوجدان العربي الفلسطيني لاسيما الفنون بكل أشكالها. في حين عدت ولا تزال المناهج الصهيونية إلى اختراع وتثبيت وجدان صهيوني مرتبط بفلسطين كارض وكفكرة من خلال مناهج تعليمية تركز بشكل كبير على تعليم وتطوير الأعمال الإبداعية كالمسرح والفن التشكيلي والتجيزي والموسيقى ولاحقا الفنون السينمائية.

بعد هذا كله استطاع الفن التشكيلي الفلسطيني أن ينمو ويتكاثر وينهض في عملية مواجهة من نوع آخر، هي من أهم ما أوصل القضية الفلسطينية إلى العالمية تماما كما فعل الشعر الفلسطيني وعلى رأسه الشاعر محمود درويش. منذ فترة قصيرة نشر الفنان الفلسطيني